DOI:10.52113/uj05/022-15/2810-2818 ISSN : 2072-6317(P) - 2572-5440(O)

جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الانسانية

مجلة اوروك للعلوم الانسانية

موقع المجلة: www.muthuruk.mu.edu.iq

المفارقة في كلام عقلاء المجانين لأبي القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري 406 هـ

لؤي كريم عطية *

جامعة المثنى / كلية التربية الاساسية/ قسم اللغة العربية

معلومات المقالة

تاريخ المقالة :

تاريخ الاستلام: 2022/10/9

تاريخ التعديل : 2022/11/3

قبول النشر: 2022/11/10

متوفر على النت: 2023/1/15

الكلمات المفتاحية :

المفارقة، عقلاء المجانين، النيسابوري.

الملخص

يقدم هذا البحث قراءة في خطاب عقلاء المجانين بوصفه خطاباً مهمشاً في التراث الادبي على الرغم من تصدي بعض القدامى ومنهم النيسابوري 406 هـ لجمع أخبارهم ومروياتهم التي تكشف عن وعي حقيقي ينمازون به وحكمة مروية تجري على السنتهم، مما يؤشر تضاد العقل والجنون في شخصياتهم وهو تضاد البعد والقرب في آن واحد من المجتمع الذي نبذهم وأبعدهم عن الاندماج في المستويات الاجتماعية والسياسية والدينية.

©جميع الحقوق محفوظة لدى جامعة المثنى 2022

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين، وبعد:

لا جرم أن عقلاء المجانين من الفئات المهمشة في التراث الثقافي العربي، ولعل السبب يعود الى عدم تمثيلهم في مجموعة اجتماعية محددة معتبرة، فغالباً ما يبعدون من الاندماج في المؤسسات الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

لكن ثمة ما يجلب النظر اليهم فيما نقله التراث الأدبي من أخبارهم وحواراتهم وما ينتج عنها من آراء صائبة وأجوبة حكيمة وما يصدر عنهم من تصدٍ للسلطة من كلام العقلاء أو يفوقه مرتبة قد يصل الى حد الذكاء والعبقرية، فضلاً عن غزارة أدبهم.

ومن هنا جاءت فكرة دراسة المفارقة في عقلاء المجانين للنيسابوري 406هـ الذي كان مرآة لنقل أخبارهم وخطابهم العقلاني، والتي تبنى على أن العاقل المجنون يجمع بين تضاد البعد والقرب من المجتمع في آن واحد، مما يخلق نوعاً من الصراع الداخلي في نفوسهم يتمثل فيما يحملونه من معرفة وبين ما يلقونه من المجتمع.

وقد تناول البحث محاور مهمة لتكشف عن تلك المفارقة، فبدأ التعريف بالمفارقة وعلاقتها بخطاب عقلاء المجانين، ثم عرج على المفارقة اللفظية وعلاقة التضاد أو الظاهر والخفي في خطابهم، ثم تناولت المفارقة الدرامية بمظاهرها المختلفة التي تروم الكشف عن التناقض بين الواقع القائم ومقارنته بالواقع

*الناشر الرئيسي : E-mail : luay1976@mu.edu.iq

المثالي أو الممكن، ثم تناول المفارقة والنص القرآني على مستوى التوظيف المغاير للنص ، ثم تناول شكلاً من أشكال المفارقة وهو السخرية والتهكم ، كما تضمن البحث أهم النتائج التي توصلت إليها وقائمة بأهم المصادر والمراجع

1 – المفارقة لغةً واصطلاحاً

لغةً، الفَرقُ هو: ((موضع المفرق من الرأس في الشعر، والفُرقُ: تفريقٌ بين شيئين فرقاً حتى يفترقا ويتفرقا، وتفارق القوم وافترقوا، أي فارقهم بعضهم وبعضاً))[1]، وجاء في لسان العرب أن الفرق: ((خلاف الجمع، فرقه يفرقه فرقاً وفرّقه، وقيل للصلح فرقاً، وفرّق للإفساد تفريقاً))[2] ، والفَرقُ: ((تفريقُ ما بين الشيئين حتى يتفرقان ، والفرقُ: الفصل بين الشيئين، فرق يفرقُ فرقاً)) [3]

أما في المعاجم البلاغية فقد جاء عن الزمخشري بأن الفرق: ((بدأ المشيب في في مَفرقِه ومَفرقه وفرَقِه، وفرق لي الطريق فروقاً وانفرق انفراقاً، اذا اتجه لك طريقان قاسيتان ما يجب سلوكه منهما))[4] ، ويترشح لنا من المعاني المعجمية لجذر مصطلح المفارقة (فرق) دلالته على الافتراق والتفريق والاختلاف، وهذه الدلالة تلقي بظلالها فيما يبدو على ما يبتغيه المصطلح في استعماله الأدبي على القارئ أو المتلقي في دلالة النص الظاهر والباطن مما يقصده منشئ الخطاب.

أما اصطلاحاً، فالمفارقة لها تاريخ طويل من التطور حتى استوائها على ما هي عليه اليوم، فقد : ((حفلت المدونة البلاغية بمصطلحات كثيرة نابت عن استخدام مصطلح المفارقة كتسمية، ولكنها حملت مضامينها وأبانت هذه المضامين بمدلولاتها المختلفة، وهذه المصطلحات هي: التورية والتعريض، وتجاهل العارف، والتشكيك والإلماع، والمدح في معرض الذم، والذم معرض المدح، والمغالطة، والتهكم، والهزل الذي يراد به الجد، إذ لا تبين هذه المصطلحات للوهلة الاولى عن دلالاتها من الألفاظ الظاهرة للمتلقي، ولكن يتم التوصل للدلالات بعد الالتفات على الالفاظ داخل السياقات))[5] ، ثم استقرت المفارقة ملمحاً اسلوبياً وبلاغياً، إذ يعده د. محمد العبد : ((نوعاً من التضاد، بين المعنى المباشر للمنطوق والمعنى غير المباشر))[6] ، والمفارقة كما يراها فريدريك شليجل تقوم على ادراك حقيقة أن العالم في جوهره ينطوي على تضاد، وان ليس غير موقف النقيضين ما يقوى على ادراك كليته المتضاربة[7].

ومن هنا أضحت المفارقة بنية تعبيرية وتصويرية متميزة العدول على المستويين الدلالي والتركيبي، وهذه البنية تقتضي الالمعية والثقافة على صعيد تشكيل ادراكها وعلى صعيد ادراك تشكيلها،[8] حتى استقرت على أنها تعبير لغوي بلاغي يرتكز أساساً على تحقيق العلاقة الذهنية بين الالفاظ أكثر مما يعتمد على العلاقة الشكلية، وهي لا تنبع من تأملات راسخة ومستقرة داخل الذات فتكون بذلك ذات طابع غنائي أو عاطفي، ولكنها تصدر أساساً عن ذهن متوقد ووعي شديد للذات بما حولها0[9]

إن مظاهر المفارقة في خطاب عقلاء المجانين تكمن في حواراتهم وما ينتج عنها من آراء صائبة وأجوبة مسكتة مع مجتمع ينظر الى هذه الفئة على أنها هامشية ليس لها رأي ولا يُقبل منها شهادة ولا تتولى شيئاً من ادارة شؤون الناس أو النظر فيها، ومن هنا بات خطاب عقلاء المجانين ردة فعل واعية على الخطاب الديني والاجتماعي الذي يقوم : ((على تحييد من ثبت جنونه والحاقه بالصبيان والنساء وغيره من القصّر والمحجور عليهم، فلا يُعتد بشهادته ولا يتولى القضاء ولا قيادة الجيش، ولا غيرها من المسؤوليات الأخرى))،[10] وعلى أساس ما يصدر من بعض المجانين من كلام يشبه كلام العقلاء أو يفوقه مرتبة قرر أحدهم أن ليس ثمة : ((حد فاصل بين العقل والجنون، فإن من الناس من هم في مستوى متوسط، فلا هم من العقلاء ولا هم من المجانين، على أن بعض المجانين قد يتصرفون أحياناً في أثناء تنبههم تصرفاً ينم عن الذكاء، في حين أن بعض العقلاء قد يأتون أفعالاً شاذة في بعض الاحايين تدل على جنون مطبق)).[11] فالمفارقة بحسب سيزا قاسم لعبة عقلية من أرقى أنواع النشاط

DOI:10.52113/uj05/022-15/2810-2818

العقلي وأكثرها تعقيداً، تستخدم لقتل العاطفية المفرطة وللقضاء على المظهر الزائف، وفضح التضخيم الفكري0[12]

وتظهر المفارقة الحقيقية من وجود حوار أو علاقة حوارية تتيح الفرصة لإضاءة الكهوف المتعطشة للأنسنة وشحنها بقوى الفكر،[13] والعقل والحكمة التي تظهر بالحوار والتفاعل الذي يعد من الخصائص الاساسية للغة كونه يقوم على التأثير المتبادل بين مختلف أطراف الحوار [14]

2 – المفارقة اللفظية

وتعرف بأنها : ((شكل من أشكال القول يساق فيه معنى ما، في حين يقصد منه معنى آخر، يخالف غالباً المعنى السطحي الظاهر، ومن ناحية أخرى نجد أن المفارقة اللفظية أعقد كثيراً من هذا التعريف، حيث أنها تتحقق في مجموعة من المستويات، أو أن يجتمع فيها أكثر من عنصر، فهي تشتمل على عنصر يتعلق بالمغزى أو الفعل الانجازي وهو مقصد القائل))،[15] وهنا يبدو أن صاحب المفارقة يقول شيئاً لكنه في الحقيقية يقول شيئاً مختلفاً تماماً، وضحية المفارقة مطمئن أن الامور هي على ما تبدو عليه ولا يحس أنها في الحقيقية مختلفة تماماً، وهو ما يسمى الغفلة المطمئنة،[16] مما يقع تحت باب تضاد الظاهر والخفي.

ومن أمثلته ما أورده النيسابوري في خبر أحد عقلاء المجانين في كتابه بهلول وحادثته مع الرشيد حين خرج الاخير الى الحج ووصل الى ظهر الكوفة فالتقى بهلول في خبر طويل نرصد منه تلك المفارقة اللفظية اللطيفة، قال الرشيد : ((عظني يا بهلول0 قال: وبم أعظك؟ هذه قصورهم وهذه قبورهم0 قال: زدني فقد أحسنت0 قال: يا أمير المؤمنين، من رزقه الله مالاً وجمالاً فعفّ في جماله وواسى من ماله كُتب في ديوان الأبرار0 فظن الرشيد أنه يريد شيئاً فقال: قد أمرنا أن يُقضى دينك0 قال: لا يُقضى دين بدين0 أردد الحق على أهله واقض دين نفسك من نفسك0 هذه نفس واحدة إن هلكت ما انجبرت))،[17] فثمة مفارقة لفظية في قول البهلول(من رزقه الله مالاً وجمالاً..) إذ تتحقق فيها ما يسمى الغفلة المطمئنة للطرف الآخر في الحوار، هذه الغفلة يدعمها ما ورد في الخبر من صيغة(ظن الرشيد) و(قال: أمرنا أن يُقضى دينك) وليس ذلك ما طمح اليه البهلول، فظاهر عبارته يدل على معنى ظاهر وسطحي وهو الذي فهمه الرشيد واستجاب على وفقه بقضاء دين البهلول، أما باطنه وهنا تكمن المفارقة فيعني شيئاً آخر تدل عليه صيغة(لا يُقضى دين بدين) و(أردد الحق على أهله) الذي يحمل رسالة مضمرة خفية ليس أقلها دلالة على نقد السلطة والحكم واقامة العدل.

ومن المفارقات اللفظية ما نقله النيسابوري عن بهلول، قال: ((حمل الصبيان يوماً على بهلول فهرب منهم فدخل داراً لبعض القرشيين مفتوحة وردّ الباب. وخرج صاحب الدار فرآه فدعا بطبق من طعام، فجعل الصبيان يصيحون عليه على الباب وهو يأكل ويقول " وضرب بينهم بسورٍ له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب"{الحديد:13 }))،[18] وتكمن المفارقة في توظيف النص القرآني توظيفاً نصياً على وفق معناه الظاهر بعيداً عن مناسبة قوله، فالآية القرآنية تدل على معنى أن ضرب الله تعالى بين المؤمنين والمنافقين بسورٍ أو حاجز بين أهل الجنة والنار، استثمرها البهلول في مفارقة لفظية هزلية في آن واحد، قادته اليها الموقف وسرعة البديهة في توظيف المعنى القرآني في موقف واقعي.

3 – المفارقة الدرامية

تعتمد المفارقة الدرامية على بنية العمل أكثر من اعتمادها على علاقة الكلمات بدلالاتها ويُبنى هذا اللون من المفارقة على توافر توتر في العمل الادبي، ويخلق هذا التوتر من خلال وضع شخصية تتسم بالغفلة في مقابل أخرى أقوى منها، أو في قوة أخرى مهما كانت هذه القوة أو الشخصية، ولابد من علاقة ما بين ما تعلمه الشخوص وما يعلمه الجمهور تقوم على شيء من الخوف والترقب والتعاطف،[19] مع الاشارة الى أن ثمة رابط يصل بين المفارقة والدراما في أن الاخيرة تقوم على مبدأ التناقض الظاهري الذي يتسلسل في كل جزء من أجزاء الدراما كما يرى جورج لوكاش.[20]

DOI:10.52113/uj05/022-15/2810-2818

إن التناقض الدرامي يبدو تناقضاً بين الواقع الإنساني القائم كما نحياه وبين الواقع الإنساني المطلوب، وقد يتحقق هذا التناقض بطرق ثلاث – قد يستخدم بعضها أو يلجأ اليها كلها- وهي:

1- تصوير الواقع القائم وكشف عورته، بما يوعز- ضمنياً- باستحالة التعايش معه.

2- وصف الواقع الاصلي وكيف تتحقق داخله العلاقات الانسانية التي يمكن استعادتها.

3- المزاوجة بين الواقع القائم والواقع الأصلي(الممكن) لإبراز التناقض الكامن بين الواقعين، ومن ثم استبدال الواقع الممكن بالواقع القائم.[21]

ومن مفارقات اللون الأول التي ترصد الواقع القائم وتكشف عورته بما يُشعر صعوبة التعايش معه، ما نقله النيسابوري في خبر أبي عطاء سعدون المجنون وقد سأله مالك بن دينار: ((لم لا تجالس الناس

وتخالطهم؟ فأنشأ يقول:

جد عن الناس جانبا كي يظنوك راهبا

لا تودّن مؤاخيا وصديقاً وصاحبا

قلّب الناس كيف شئـ ـت تجدهم عقاربا[22]

ففي الابيات الشعرية التي أجاب بها سعدون من عدم مخالطة الناس ثمة ما يشير الى رصد قسوة الواقع وحالة الاغتراب التي تفضي الى صعوبة العيش فيه.

ومنه أيضاً خبر بهلول الذي آثر العزلة في المقابر وعدم مجالسة الناس، قال النيسابوري: ((سمعت محمد بن اسماعيل بن أبي فديك يقول: رأيت بهلولاً في المقابر قد دلّى رجله في قبر وهو يلعب بالتراب فقلت له ما تصنع ها هنا؟ قال: أُجالس قوماً لا يؤذونني وإن غبت عنهم لا يغتابونني))،[23] فهروب البهلول من الواقع يقع في حالة عدم الرضا منه بمقارنته مع الحالة المثالية التي يحتفظ بها عقله الباطن، إذ ينتابه عجز عن تغيير الواقع غير المتزن بكل مشاهده اليومية ورأى أن تحقيق التوازن الوجودي يتحقق في اعتزال الناس والركون إلى المقابر0

إن المجنون العاقل في لحظة تعقله لا يمكن أن يسمى كغيره مريضاً، لأنه في حالة تعقله لا يختلف عن الأصحاء معرفة وإدراكاً، بل هو يفوقهم بما حصّله من جنونه، وما غاب عنهم من عقولهم،[24] حين يتعلق الأمر بكشف الواقع وسلبياته بل يتعداه الى نقد السلطة التي تلقي بتأثيرها على واقع الناس وشؤونهم، فينقل النيسابوي عن أبي سعيد الضبيعي في نقد الوالي: ((قالوا يا أبا سعيد، محمد بن سليمان يتكلم على المنبر يأمر بالعدل والإحسان0 فقام فقال: يا محمد بن سليمان، إن الله يقول في كتابه " يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون"{ الصف:2-3} يا محمد بن سليمان، إنه ليس بينك وبين أن تتمنى أنك لم تُخلق إلا أن يدخل ملك الموت بيتك0 قال: فخنقت محمد بن سليمان العبرة ولم يقدر على الكلام، فقام أخوه جعفر بن سليمان الى جنب المنبر فتكلم عنه))،[25] وإذا كان نقد السلطة والواقع المجتمعي الذي يرزح تحتها في الأدب العربي شعراً ونثراً يتخذ من الرمز والإيماءة الخفية وسيلةً له، فإننا مع عقلاء المجانين نلمح نقداً صريحاً ولاذعاً لها ومواجهةً حقيقية لفساد أمرها، فالقهر السياسي لاشك هو قهر للواقع الاجتماعي والاقتصادي للناس، والمفارقة هنا تكمن في رؤية الناس لابي سعيد المجنون وغيره على أنهم مجانين، فإذا نطقوا في موقف مثل هذا خرج منهم كلام دقيق المآخذ، وحكمة بالغة فيها جرأة ورصد للواقع.

أما اللون الثاني من المفارقة الدرامية التي تصف الواقع الاصلي وكيف تتحقق داخله العلاقات الانسانية التي يمكن استعادتها، فالعدالة الاجتماعية لا تكتفي بوضع أسس البناء الاجتماعي، بل تسعى الى ديمومتها واعادة صياغتها وتحقيقها، لأن الغفلة عن استمرارها هو الذي يخلق تمايزاً وفجوة في المجتمع، ففي خبر أبي نصر أحد عقلاء مجانين المدينة نقل النيسابوري خبر قدوم هارون الرشيد المدينة فدخل المسجد والتقى بأبي

DOI:10.52113/uj05/022-15/2810-2818

نصر المجنون: ((قال: فدعا هارون بمئة دينار فقال: اعطوها الى أبي نصر0 قال أبو نصر: ما أنا إلا رجل من أهل الصفة فدفعوها الى فلان يفرقها بينهم ويجعلني رجلاً منهم))،[26] تكمن أهمية التناقض الظاهري الذي تنصهر فيه المفارقة كما يراه جورج لوكاش حينما تكون حية على منبر الحياة وجامعة في تحديد دقيق لأحداث الناس وتصرفاتهم في موقف محدد يصل فيه الانسان أو يقع فيه ويتحمله في كل الظروف والاحوال متفاعلاً مع كل ما يحدث حوله معلناً أو فاضحاً عنصر التجريد الخفي الغامض،[27] وأبو نصر وقف للرشيد وقفة راصد للواقع ومحاولاً تحقيق العلاقات الإنسانية التي غفلت عنها السلطة والتي ينبغي أن يكون عليها حال المجتمع، فحين أعطاه الرشيد مئة دينار رفضها لنفسه وفرقها على أهل الصفة، وهم ثلة من المهاجرين الفقراء الذين اتخذوا طرفاً من المسجد النبوي بيتاً لهم، في مفارقة تحمل دلالة قصور السلطة في متابعة أمور أهل الصفة، فأبي نصر مدني ولم يكن مهاجراً لكنه عدّ نفسه واحداً منهم حتى يوصل رسالتهم ومعاناتهم.

وأما اللون الآخر من المفارقة الدرامية، القائمة على التزاوج بين الواقع القائم والواقع الاصلي(الممكن) والتي تحاول أن تبرز التناقض بين الواقعين، ومحاولة استبدال الواقع القائم بالواقع الممكن، فقد نقل النيسابوري أخبار وحوادث عقلاء المجانين ما يؤشر هذه المفارقة الدرامية وهي ترصد البون الواسع ما بين الواقعين، ومنها خبر بهلول مع الرشيد الذي يصل سنده الى الفضل بن الربيع،قال: ((حجننا مع الرشيد فمرَّ بالكوفة في طاق المحامل اذا ببهلول قاعد يهذي ويلعب بالتراب، فابتدر اليه الخدم ليطردوه، فقام وقال للرشيد: فكيف ولو أقامك الله بين يديه، فسألك عن النقير والقطمير والفتيل؟ قال: فخنقته العبرة0 فقال الحاجب: حسبك يا بهلول فقد أوجعت أمير المؤمنين. فقال الرشيد: دعه. فقال بهلول: إنما أفسده أنت واضرابك0 فقال: الرشيد: إني أريد أن أصلك بصلة0 فقال بهلول رُدَّها على من أخذتها منه0 فقال الرشيد: فحاجة؟ قال: ألا تراني ولا أراك0 ثم قال: يا أمير المؤمنين حدثنا أيمن بن نائل عن قدامة بن عبد الله الكلابي قال: رأيت رسول الله ﷺ يرمي جمرة العقبة على ناقة صهباء لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك))،[28] إن المفارقة الدرامية تتبلور عندما يكون الانسان قادراً على التمثيل والتصوير والاحتجاج، ويكون قادراً على فك الرمز، اذا حدث له حادث دنيوي،[29] فما حدث لبهلول حين طرده حراس الرشيد قاده الى تصوير الواقع والاحتجاج بتعسف السلطة ثم محاولة استبدال هذا الواقع بالواقع الممكن الذي مثله بهلول في الفرق بين حج رسول الله(ص) وتواضعه في رميه لجمرة العقبة من على ظهر ناقته بلا حرس ولا إليك إليك مما يفعله أغلب الولاة، وكان جريئاً في رغبته وتصديه لتغيير الواقع القائم/خطاب الحرس(إنما أفسده أنت وأضرابك) الى الواقع الممكن(الرسول "ص" يرمي جمرة العقبة على ظهر ناقته).

إن السلطة السياسية في تعريفها الموضوعي، ما هي إلا الصراع الاجتماعي من أجل تحقيق السيطرة، ومن أجل الوصول الى آلة الدولة، أو من أجل إقرار مصالح قوة اجتماعية على حساب مصالح قوى اجتماعية أخرى،[30] وهو ما تحاول المفارقة الدرامية رصده والوقوف عليه، ففي خبر أبي نصر المجنون حينما قيل له : ((هذا أمير المؤمنين ورفع رأسه وقال: أيها الرجل إنه ليس بين عباد الله وأُمة نبيه ورعيتك وبين الله خلق غيرك، وإن الله سائلك عنهم فأعد للمسألة جواباً، فقد قال عمر بن الخطاب ﷺ: لو ضاعت سخلة على شاطئ الفرات لأُخذ بها عمر يوم القيامة0 فبكى هارون ثم قال: يا نصر، إن رعيتي ودهري غير رعية عمر ودهره0 قال: دع عنك هذا والله غير مُغنٍ عنك فانظر نفسك))،[31] فالمقارنة بين شخصية الخليفة عمر بن الخطاب(رض) أول الاسلام وبين الرشيد محاولة من أبي نصر المقارنة بين واقعتين أو حالين من أحوال الامة الاسلامية يتخللها نقد صريح لواقع المجتمع والحكم والسلطة.

DOI:10.52113/uj05/022-15/2810-2818

4 – المفارقة والمرجعية القرآنية/ التوظيف المغاير

مما لا شك فيه ان البيان القرآني له جدارته بصفة الربط بين المتلقي والنص بوشائج متينة، وهذا الاستحقاق يكمن في ديمومة ربط المرء بالواقع، لاسيما الواقع النفسي على العصور،[32] فاستثمار سلطة القرآن الكريم في النصوص الادبية يقوي دلالة المراد من النص ويفحم المتلقي حجةً وبرهاناً0

لكن الملاحظ أن عقلاء المجانين يعودون الى النص القرآني بمفارقة الإيهام، وهي: ((خطاب بالشيء عن اعتقاد المخاطب دون ما في الأمر نفسه، إنه حكاية زعم المخاطب أو المتحدث عنه في المفارقة، وهنا تختار المفارقة من اللفظ ما يحكي هذا الزعم ويوهم بأنه حقيقي ومقرر، في الوقت الذي تزدري به وتسخر به))،[33] وهذا عين ما فعله البهلول في استثماره للنص القرآني ليسخر برجل من أهل الكوفة، إذ ينقل النيسابوري، قال: ((أخبرنا محمد قال: أخبرنا الحسن قال: أخبرنا أبو موسى قال: حدثنا أبو عوانه قال: حدثنا أبو علي قال: حدثنا محمد بن عبد الله قال: بينا أنا في مسجد الكوفة والإمام يخطب يوم الجمعة، إذ قام رجل به لمم وكان يتكلم بالحكمة فقال " يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً" {الاعراف:158} فقام بهلول فقال: اسكت "ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل ربِّ زدني علما"{طه:114}))،[34] والمفارقة هنا تأخذ خط المعنى المجازي، إذ تتجاوز معنى المنطوق الى ضده أو نقيضه،[35] فالنص القرآني الذي أتى به البهلول مختص بالنبي(ص) ولا أحد غيره أيام نزول الوحي والذي من دلالاته أن لا تعجل بالقرآن قبل أن يُقضى إليك وحيه، أو لا تعجل به قبل أن يتم سبحانه وتعالى معانيه، وكأن البهلول يهزأ بالرجل ويسخر منه لإدعاءه النبوة، وهذا أمر قُضي بنبوته(ص)، مستثمراً المعنى الظاهري للنص دون مناسبة قوله.

والمفارقة لا تكون إلا عندما يكون أثرها مزيجاً من الألم والتسلية ولا تترك القارئ إلا بعد أن تكون رسمت على شفتيه ابتسامة هادئة يصحبها التهكم من الضحية،[36] من ذلك خبر أبي علقمة المعتوه، فقد: ((مرَّ رجل من قيس ومعه ابن له يريد الجمعة، وأبو علقمة على باب المسجد جالس، فقال الغلام لأبيه: أُكلم أبا علقمة؟ قال:لا0 فأعاد عليه ثانياً وثالثاً0 فقال أبوه: أنت أعلم0 فقال له الغلام: يا أبا علقمة ما بال لحى قيس قليلة خفيفة المؤنة ولحى اليمن كبيرة عريضة شديدة المؤنة؟ قال: من قول الله عز وجل "والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا"{الاعراف:58 } مثل لحية أبيك0 فجذب القيسي يده من يد ابنه ودخل في غمار الناس حياءً وتشوراً))،[37] فنلحظ المفارقة في التوظيف المغاير لمساق الآية القرآنية في دلالتها على أن المراد من قوله تعالى أن البلد الطيبة تربتها والعذب ماؤها يخرج الله طيب النبات منها، والتي خبثت تربتها وملح ماؤها يخرج نباتها نكداً، وظفها أبو علقمة المعتوه للاستهزاء والتهكم بقلة منبت لحى قيس قياساً لأهل اليمن على غير معنى النص الاصلي ومناسبة قوله0

5 – المفارقة والسخرية

ترقى الفكاهة بالسخرية الى المستوى الأكثر ذكاءً ولباقةً، فتجعل لها معنى وتعطيها قدرة خاصة على أن يكون لها هدف، وأن تخدم هذا الهدف، وأن تحتال لتحقيقيه،[38] فأن تكون الفكاهة والسخرية في النص الادبي بلا هدف، فهي عند ذاك تدخل في دوامة العبث غير المبرر.

وللساخر مقومات تتعلق بالجانب العقلي، إذ يتمتع بالجرأة، والذكاء، وقوة الخيال، والمنطق، ويمتلك القدرة على الارتجال، من غير فكرة سابقة، والقول على البديهة،[39] فالإنسان الساخر، نشيط، وعبقري، ومعتز بحياته، وأخ للأحياء أمثاله، وهذا الانتماء الواعي يكسبه قوة كبيرة، وقدرة خلاقة على منح الحياة كل اهتماماته، وكل امكانياته على النقد والمعارضة،[40] وأما المفارقة الساخرة فهي التي تعتمد على البطل الساذج أو المتحدث الساذج كما يراه المستمع ولكنه يخفي وراءه وجهة نظره ونيته للسخرية،[41] من ذلك حوار سعدون المجنون مع المتوكل الذي قال له: ((يا سعدون بلغني أنك ثنوي تقول السماء خالية

DOI:10.52113/uj05/022-15/2810-2818

بلا مدبر0 فقال له: يا متوكل اسألك عن شيء تخبرني به؟ قال نعم0 قال: من جعل سطح الهامة منبت الشعر وسقاها من حرارات الدماغ؟ قال: الله0 قال فاخبرني من مدَّ حاجبيك فأنبت عليهما الشعر؟ قال: الله0 قال: فاخبرني من فتق العينين وجعل الحدقة بياضاً وجعل وسطهما سواداً؟ قال: الله0 قال: فمن جعل فيهما ماء عذباً وملحاً؟ قال: الله0 قال: فمن الزم القدمين الساقين فجعلهما اسطوانة الركبتين0 قال: الله0 قال: فمن شد الحقوين بالوركين؟ قال: الله0 قال: فمن عرفك أن تقول الله؟ قال: الله0 قال: فكيف أقول السماء بلا اله))،[42] إن توالي الاستفهام في النص يحمل مفارقة يحمله على التضاد والتهكم، فسعدون يدرك أن المتوكل يعرف إجابة استفهاماته، ومن الممكن أن نضع جميع أسئلته في جانب وسؤاله الأخير(فمن عرفك أن تقول الله) في جانب آخر تتوارى تحته ملامح التهكم والسخرية، التي تسعى إلى إبراز الحقائق المتناقضة والافكار السلبية في صور تغري بمقاومتها والرد عليها وإيقاف مفعولها، من دون اللجوء إلى الهجوم المباشر، أو في موقف يكون فيه هدفاً للانتقام0[43]

ومن ذلك أيضاً خبر الهلول مع الرشيد، إذ قال بعض من صحب الرشيد لهلول: ((إذا دنا أمير المؤمنين، فادعُ له0 فلما حاذاه الرشيد رفع بهلول صوته وقال: نسأل الله أن يرزقك ويوسع عليك من فضله0 فضحك الرشيد وقال: آمين0 فلما جازه دفع صاحب الكوفة في قفاه وقال: هكذا تدعو لأمير المؤمنين يا مجنون؟))،[44] فقد عمد بهلول إلى مفارقة تقوم على التورية تدل على أن دعاء الهلول للرشيد ليس هو المراد الحقيقي الظاهر من الدعاء وإنما تورية تختبئ خلفها معانٍ أخرى من قبيل نقد السلطة والتعبير عن الألم والحرمان.

الخاتمة:

لقد توصل البحث الى جملة نتائج يمكن إجمالها بما يأتي:

- المفارقة في خطاب عقلاء المجانين تنصهر في حوارتهم التي تفاجئ الطرف الآخر بآرائهم الصائبة وأجوبتهم البليغة والحكيمة.

- خطاب عقلاء المجانين يمثل ردة فعل واعية على الخطاب الاجتماعي والسياسي الذي بُني على تحييد من ثبت جنونه وإبعاده عن الممارسات والفعاليات الاجتماعية والدينية، إلا أن بعض المجانين يتصرفون في موقف معين تصرفاً ينم عن ذكاء يفوق غيرهم.

- تستثمر نصوص عقلاء المجانين المفارقة اللفظية والتضاد الذي تقوم عليه في إيصال رسائل تتعلق بالسياسة والمجتمع0

- ترصد المفارقة الدرامية التي تقوم على التناقض الدرامي في خطاب عقلاء المجانين الواقع القائم وتحاول كشف مساوئه بما يُشعر بعدم التكيف معه والهروب منه0

- تزاوج المفارقة الدرامية بين الواقع القائم والواقع الممكن(المثال) عن طريق مقارنة عمل اخبار مجانين العقلاء بمقارنة هذا الواقع مع واقع سابق من حياة الامة في محاولة إعادة الانموذج الأمثل الكامن في التاريخ0

- تستثمر المفارقة في خطاب عقلاء المجانين النص القرآني مرجعية لها عن طريق التوظيف المغاير لدلالته الاصلية، وقد يأتي هذا ضمن حدود التهكم من الطرف الآخر0

- ترتبط المفارقة في خطاب عقلاء المجانين ارتباطاً وثيقاً بالسخرية، لكنها السخرية الهادفة التي لا تدخل في باب العبث غير المبرر، فالسخرية في خطابهم تارة ترصد الواقع وأخرى تقف فيها على اعتاب السلطة ناقدة بأسلوب جريء وهادف0

الهوامش:

(1) كتاب العين، الخليل بن احمد الفراهيدي: 46/5 0

(2) لسان العرب، ابن منظور: مادة(فرق): 299/10 0

(3) نفسه: 301/10 0

(4) أساس البلاغة، الزمخشري: 20/2 0

(5) المفارقة في رسالة التوابع والزوابع، د.هاشم عزام: 1019وينظر، المفارقة وصفاتها ، د.سي ميويك ،ت،د.الواحد لؤلؤة: 10 0

(6) المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة، د.محمد العبد: 15 0

DOI:10.52113/uj05/022-15/2810-2818

(7): المفارقة وصفاتها ، د.سي ميويك: 32 0

(8) ينظر، المفارقة في شعر الرواد، د.قيس الخفاجي: 64 0

(9) ينظر، جماليات المفارقة في القصص القرآني، د.رنا احمد عبد الحليم: 31 0

(10) عقلاء مجانين الصوفية، طارق زيناي: 69 0

(11) بين العقل والجنون، د.محمد حسني: 4 0

(12) ينظر، المفارقة في القص العربي، سيزا قاسم: 144 0ش

(13) ينظر، المفارقة في شعر الرواد: 73 0

(14) ينظر، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، د.حسان الباهي: 11 0

(15)ينظر، المفارقة في القص العربي: 144 والمفارقة القرآنية: 54.

(16) المفارقة وصفاتها ، د.سي ميويك: 46 0

(17) عقلاء المجانين،النيسابوري: 140 0 وينظر مثله في: 142 0

(18) نفسه: 155 0

(19) جماليات المفارقة في القصص القرآني: 43-44 0

(20) ينظر، تاريخ تطور الدراما الحديثة،جورج لوكاش: 41/1 0

(21) ينظر، المونولوج بين الدراما والشعر، اسامة فرحات: 168.

(22) مجانين العقلاء: 124 وينظر مثله في: 130 0

(23) نفسه: 139 0

(24) عقلاء مجانين الصوفية: 71 0

(25) عقلاء المجانين: 185 وينظر مثله في: 130 0

(26) نفسه: 202 وينظر مثله في: 129 0

(27) ينظر، تاريخ تطور الدراما الحديثة: 57/1 0

(28) عقلاء المجانين: 140-141 0

(29) ينظر، تاريخ تطور الدراما الحديثة: 30/1 0

(30) ينظر، الواقع والمثال مساهمة في علاقات الادب والسياسة، د.فيصل دراج: 303 0

(31) عقلاء المجانين: 202 0

(32) جمالية المفردة القرآنية، احمد ياسوف: 29 0

(33) المفارقة القرآنية: 82 0

(34) عقلاء المجانين: 160 0

(35) المفارقة القرآنية: 82 0

(36) خطاب المفارقة في الامثال العربية، نوال بن صالح: 14 0

(37) عقلاء المجانين: 215 وينظر مثله في: 171و 178 0

(38) السخرية في أدب المازني، د.حامد عبده الهوال: 16 0

(39) السخرية والفكاهة في النثر العباسي،نزار عبد الله خليل الضمور: 9 0

(40) السخرية في أدب المازني:31 0

(41) المفارقة القرآنية: 103 0

(42) عقلاء المجانين: 135-136 0

(43) السخرية في أدب المازني: 35 0

(44) عقلاء المجانين: 142 وينظر مثله في: 165 0

المصادروالمراجع

- القرآن الكريم .

- أساس البلاغة، الزمخشري538هـ ،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1998 .

- بين العقل والجنون، د. محمد حسني ولاية، مطبعة التعاون بالاسكندرية، الاسكندرية،مصر،ط1، 1937 0

- تاريخ تطور الدراما الحديثة، جورج لوكاش،ت.كمال الدين عيد،المركز القومي للترجمة، القاهرة مصر،ط1، 2016 0

- جمالية المفارقة في القصص القرآني، د.رنا عبد الحليم، وزارة الثقافة، عمان، الاردن، ط1، 2015 0

- جمالية المفردة القرآنية في كتب الاعجاز والتفسير، احمد ياسوف، دار المكتبي، دمشق، سوريا، ط1، 1994 0

- الحوار ومنهجية التفكير النقدي، د.حسان الباهي، أفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2013

- السخرية في أدب المازني، د.حامد عبده الهوال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 1982 0

- عقلاء المجانين، لأبي القاسم الحسن بن محمد بن حبيب 406هـ ، تحقيق د. عمر الاسعد، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط1، 1987 0

- المفارقة في شعر الرواد، د.قيس حمزة الخفاجي، دار الارقم للطباعة والنشر، بابل، العراق، ط1، 2007 0

- المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة، د.محمد العبد، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط2، 2006 0

DOI:10.52113/uj05/022-15/2810-2818

- المفارقة وصفاتها، د.سي،ميويك، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1993 0

- كتاب العين،لأبي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي 175هـ ، تحقيق، د.مهدي المخزومي ود. ابراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بغداد، العراق، ط1، 1986 0

- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، د.تا 0

- المونولوج بين الدراما والشعر، اسامة فرحات، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 1987 0

- الواقع والمثال مساهمة في علاقات الادب بالسياسة، د.فيصل دراج، دار الفكر الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 1989 0

الرسائل والاطاريح

- خطاب المفارقة في المثال العربية مجمع الامثال للميداني انموذجا، اطروحة دكتوراه، نوال بن صالح، جامعة بسكرة، كلية الآداب واللغات، 2012 0

- السخرية والفكاهة في النثر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، اطروحة دكتوراه، نزار عبد الله خليل الضمور، جامعة مؤتة، 2005 0

المجلات

- عقلاء مجانين الصوفية، طارق زيناي، المجلة العربية في العلوم الانسانية، مج 11، ع 1، 2019 0

- المفارقة في رسالة التوابع والزوابع، د.هاشم العزام، مجلة جامعة أم القرى،ج 16، ع 28، 1424هـ 0

- المفارقة في القصص العربي المعاصر، سيزا قاسم، مجلة فصول، مج2،ع2، 1982 .

The Paradox in the Speech of the Intellectuals of the Insane by Abu Al-Qasim Al-Hassan Bin Muhammad Bin Habib Al-Nisaburi 406 AH.

Luay kareem Atea

Abstract

This study presents a reading of the discourse of sane madmen as a marginalized discourse in the literary heritage despite the opposition of some of the ancients, including Al-Naysaburi 406 AH, to collect their news and narrations that reveal a real awareness that they are experiencing and a narrated wisdom that runs on their tongues, which indicates the contradiction of reason and madness in their personalities, which is the contradiction of dimension. And closeness at the same time to the society that rejected them and kept them away from integration at the social, political and religious levels.

Keyword :Paradox, madmen sane, Nisaburi

DOI:10.52113/uj05/022-15/2810-2818